

تفسير البحر المحيط

@ 327 @ تحصيل التقوى ولما كان ما حلّ بقوم نوح من أمر الطوفان واقعة لم يظهر في العالم مثلها قال { إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } وواقعة هود كانت مسبقة بواقعة نوح وعهد الناس قريب بها اكتفى هود بقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } والمعنى تعرفون أن قوم نوح لما لم يتقوا □ وعبدوا غيره حلّ بهم ذلك العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا فقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة . .

{ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِيَّانَا لَنَذَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِيَّانَا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } أتى بوصف { الْمَلَأَ } بالذين كفروا ولم يأت بهذا الوصف في قوم نوح لأن قوم هود كان في أشرافهم من آمن به منهم مرثد بن سعد بن عفير ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ألا ترى إلى قولهم { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لُبًّا } وقولهم { أَرَأَيْتُمْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْإِرْدَلُونَ } ويحتمل أن يكون وصفاً جاء للزم لم يقصد به الفرق ولنراكم يحتمل أن يكون من رؤية العين ومن رؤية القلب كما تقدم القول في قصة نوح و { فِي سَفَاهَةٍ } أي في خفة حلم وسخافة عقل حيث تترك دين قومك إلى دين غيره وفي سفاهة يقتضي أنه فيها قد احتوت عليه كالطرف المحتوي على الشيء ولما كان كلام نوح لقومه أشد منكلام هود تقوية لقوله { إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } كان جوابهم أغلظ وهو { إِيَّانَا لَنَذَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ } وكان كلام هود ألطف لقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } فكان جوابهم له ألطف من جواب قوم نوح لنوح بقولهم { إِيَّانَا لَنَذَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ } ثم أتبعوا ذلك بقولهم { وَإِيَّانَا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } فدل ذلك على أنه أخبرهم بما يحل بهم من العذاب إن لم يتقوا □ أو علاّقوا الظن بقوله { مَا لَكُمْ مِنْ إِيَّاهِ غَيْرُهُ } أي إن لنا آلهة فحصرها في واحد كذب . وقيل : الظن هنا بمعنى اليقين أو بمعنى ترجيح أحد الجائزين قولان للمفسرين والثاني للحسن والزجاج ، وقال الكرمانى : خوّف نوح الكفار بالطوفان العام واشتغل بعمل السفينة فقالوا { إِيَّانَا لَنَذَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ } حيث تتعب نفسك في إصلاح سفينة كبيرة في مفازة ليس فيها ماء ولم يظهر ما يدل على ذلك وهو رديف عبادة الأوثان ونسب قومه في السفاهة فقابلوه بمثله . . { قَالَ يَٰأَدَمُ * قَوِّمْ * لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَكَ نِىِّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُولَٰئِكَ كُفُّوا رِيسَالَاتِ رَبِّى وَأَنزَلْنَا لَكَ نُورًا مِّنْ أَمِينٍ }

